هجرة اليهود السوفيات وتأثيرها في الصراع العربي ـ الاسرائيلي

أحمد عبد الحليم

نأتي الى التسعينات ونحن على مشارف عالم «أسطوري» لم تشهد له البشرية مثيلاً، شكّلت ملامحه سرعة تداعي الاحداث، وتغيّر النظام العالمي لأول مرة بالمبادرات السلمية، وليس من طريق حروب عالمية مدمّرة، وانْ كان شابها بعض احداث العنف في بعض المناطق.

وكانت أهمّ الاحداث التي تمّت على الساحة العالمية هي التغيّرات التي قادها الرئيس السوفياتي، ميخائيل غورباتشيوف، داخل الاتحاد السوفياتي، وانعكاس هذه التغيّرات على دول اوروبا الشرقية، واستمرار تداعي، وتفاعل، الاحداث بسرعة كبيرة، عكست نفسها على الساحة العالمية، وأيضاً على الساحات، من زوايا بعينها، حيث لم تنعكس ايجابياً على مستوى حل الصراعات الاقليمية المزمنة، وايقاف سباق التسلّح الذي انساقت اليه دول العالم الثالث لحلّ مشاكلها الاقليمية بالقوة المسلّحة. وبقي العالم الثالث، حتى الآن، يواجه مصيراً مجهولاً، لا يستطيع التنبؤ بكنهه. وانعكست سلبية الاحداث العالمية على الساحة الاقليمية، وفي وسطها منطقة الشرق الاوسط، وفي مركزها، حالياً، عملية تهجير اليهود السوفيات الى اسرائيل، والاخبار المتواترة عن توطين هؤلاء اليهود في الاراضي العربية المحتلة، وتأثير ذلك في عناصر الصراع العربي ـ الاسرائيلي.

وقد أثارت قضية فتح الاتحاد السوفياتي لابواب الهجرة لليهود السوفيات، واعطائهم الحق في مغادرة الاراضي السوفياتية، خليطاً من المشاعر المتضاربة لدى الاطراف العربية، واليهودية. وأصبحت القضية، في عالمنا العربي، محلاً لنقاش مرتفع الصوت، دون ان يصاحب ذلك وضع القضية في اطارها الصحيح، وتحديد مكانها ضمن حلقات الاستراتيجية الصهيونية، وايجاد اتفاق عربي موحّد على أسلوب تقدير ما يحدث، وأسلوب مواجهته، ورسم الخطوات العملية لهذه المواجهة.

وموضوع الهجرة هو موضوع استعمار استيطاني على شاكلة الاستعمار الاستيطاني الاوروبي الذي مارسته الدول الاستعمارية الاوروبية منذ القرن السادس عشر الميلادي، واستهدفت به أقطاراً في القارات الاخرى، خاصة افريقيا وآسيا. كما ان الهجرة اليهودية الى فلسطين كانت، وما زالت، المفصل الاساس في قضية فلسطين، والعمود الفقري لتوجّهات، ونشاطات، الحركة الصهيونية، منذ نشأتها. وما تاريخ فلسطين الحديث الاّ عبارة عن ثورات واضطرابات بسبب الهجرة اليهودية. وكان دافيد بن ـ غوريون واضحاً حين لخّص الفلسفة الصهيونية حول حتمية استمرار الهجرة بعد قيام اسرائيل، حين قال: «كنّا شعباً بلا أرض، وأصبحنا أرضاً بلا شعب».

وأصبحت هجرة اليهود السوفيات هي الحدث الذي تنعقد بسببه سحابات قاتمة فوق منطقة الشرق الاوسط. وتجنّد اسرائيل التعتيم الاعلامي على الهجرة اليهودية السوفياتية. فكلّما قل